STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

Stylistic approach and acculturation: A historical reading on explanations of Nahj Al Balagha

Nama Dahash Farhan namaa.d@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Prof of Arabic language and Literature, College of Islamic Sciences, Baghdad University, Iraq.

Abstract

The narration in Arabic literature has had numerous inquiries, investigations, and studies. This is due to the great diversity of arts, branches, and variety of representations, especially those arts that are included in analogical expressions and linguistic expressions, such as stories and tales that represent real social actions. That are transmitted in a representative constructive manner and theexpressional performance. The narration of proverbs is based on the exchange of ideas or is transferred in dialogue through their representation when the context unit has been matched on two similar occasions. Literary work reveals the essential personality of norm on one hand and the culture of the society in therefore, it was said on the other hand. Which, it is not reasonable that the (Nahj Al Balagha) appeared as a result of an individual invention without relying on social realities related to the individual or group a group of people. Moreover, it is unreasonable that a literary form such as Nahj Al Balagha, characterized by such social richness has existed and remained for centuries as itwas studied by writers, scholars, and researchers. with great differences among each other as they belong to different environments and different nationalities across a period of time without a significant relationship between the content of this literary form and the most important aspects of social life. To reveal the value of Nahj Al Balagha among the narratives of culture and the norms of society, this study will employ to the method of tackling the proverbs and linguistic expressions of Imam Ali that were conveyed through his experiments and familiarities from inherited societies to the society in which he lived. However, this study will be concerned ing on with two main points:

The first issue is tackling the socio-cultural and the narratives of semiotic linguistic. whereas the second issue is tackling the mores, conventionalism, and traditional usage. It is worth mentioning that the research proceeded according to the historical method, with the inclusion of contextual and descriptive-analytical approaches. The significant results of this study concluded as are:

1-Each creative writer can stand on depend on the structure of the collective self collective to contemplate situations and events, and choose what he/she wants from the society says that radiate from the horizon of that creator for creative genius is at the forefront of persons each who try to form a collective self that exceeds the individual self.

2-The mores, customs, and tradition were represented in the stylistic approach of the proverbial expressions. W which are inventions of the pre-Islamic Arab society; this

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]

[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

indicates the influence of language of Nahj Al Balagha that became enrollment a true record in the history of Arab.

Keywords: Keywords: Narration, Culture, Society, Rhetoric approach, Proverbs.

Citation: Farhan, Nama Dahash; Autumn & Winter 2020-2021"Stylistic approach and acculturation: A historical reading on explanations of Nahj Al Balagha. Studies in Arabic Narratology, 2(3), 96-126. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Autumn & Winter (2020-2021), Vol. 2, No.3, pp. 96-126
Received: August 28, 2020; Accepted: March 2, 2021

©Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]

[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩

أسلوبية النهج وسردية التثاقف؛ مقاربة تاريخية في مدوّنة نهج البلاغة

نعمة دهش فرحان **البريدالإلكتروني:** namaa.d@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
استاذ بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد، العراق.

الإحالة: فرحان، نعمة دهش، خريف وشتاء (٢٠٢٠-٢٠٢١). أسلوبية النهج وسردية التثاقف؛ مقاربة تاريخية في مدوّنة نهج البلاغة. دراسات في السردانية العربية، ٢(٣)، ٩٦-١٢٦.

دراسات في السردانية العربية، خريف وشتاء (٢٠٢٠-٢٠٢١)، السنة٢، العدد٣، صص. ٩٦-١٢٦.

تاريخ الوصول: ٢٠٢٠/٨/٢٨ تاريخ القبول: ٢٠٢١/٣/٢

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

الملخص

حظيت قضايا السرد في الأدب العربي بنصيب وافر من البحث والتقصي والدراسة؛ وذلك لتعدد فنونه، وتفرعاتها، وتنوع تمثلاتها، ولاسيما تلك الفنون المضمرة في التعابير التناظرية، والمسكوكات اللغوية، كالقصة والحكاية اللتين تمثل أحداثًا واقعية اجتماعية، ينقلها المثل على نحو بناء تمثيليّ، وأداء تعبير، فسرد الأمثال قائم على تبادل الأفكار أو نقلها في الحوار عبر تمثلها، عند تحقق وحدة السياق في مناسبتين متشابهتين. يكشف العمل الأدبيّ عن جوهر شخصيّة منشئه من جهة، وعن ثقافة المجتمع الذي قيل فيه من جهة أُخرى؛ فليس من المعقول أن يكون (نهج البلاغة) قد ولد نتيجة اختراع فرديّ من دون اعتمادٍ على معطيات اجتماعيّة خاصة بالفرد والجماعة، ومن غير المعقول أيضًا أنَّ شكلًا أدبيًا كـ(نهج البلاغة) تميّز بهذا الغنى الاجتماعيّ، قد وجد وبقي قرونًا طويلة، ودرسه كتّاب وعلماء

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

وباحثون، يختلف بعضهم مع بعض اختلافًا بالغًا، وينتمون إلى بيئات مختلفة، وإلى قوميات متباينة عبر قرون من الزمان، من غير أن توجد علاقة دالة بين مضمون هذا الشكل الأدبيّ وأكثر الجوانب أهمية في الحياة الاجتماعيّة. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث؛ للكشف عن قيمة كتاب (نهج البلاغة) بين سرديات المثاقفة وأعراف المجتمع، عبر دراسة عباراته المثلية، ومسكوكاته اللغوية التي نقلها الإمام علي (ع) بخبراته وتجاربه من المجتمعات السالف إلى المجتمع الذي يعيشه، فجاء البحث في مبحثين: أولا المثاقفة الاجتماعية وسرديات الرمز اللغويّ وثانيا الاعراف والعادات والتقاليد المضمرة في الاستعمال العلويّ. والجدير بالذكر أنَّ البحث قد سار على وفق المنهج التاريخيّ، مع اشمام المنهجين السياقيّ والوصفيّ التحليليّ. وخرج بجملة من النتائج، اهمها:

١. يستطيع الفرد المُبدع الوقوف على بنية الذات الجمعيّ أن يتأمل المواقف والأحداث، وأن يختار ما يريد من المقولات الاجتماعيَّة التي تشع من أفق ذلك المُبدع من حيث إنَّ المُبدع العبقريّ يُعدُّ في طليعة الأفراد الذين يحاولون تكوين ذات جماعيَّة تتجاوز الذات الفرديَّة.

٢. تمثلت الأعراف والتقاليد والعادات في أسلوبية النهج بالعبارات المثليّة، هي من مخترعات المجتمع العربيّ الجاهليّ، وهذا يدلُّ على تأثر لغة نهج البلاغة بتلك المواقف والأحداث، حتى أصبح نهج البلاغة سجلًا صادقًا لتاريخ القبائل العربية قبل الإسلام وبعده، بل مثّل نهج البلاغة سجلاً سرديًا لحضارات أُمم خلت قبل ظهور المجتمع العربيّ.

الكلمات الدليلية: الثقافة، المجتمع، نهج البلاغة، الأمثال، السرد.

المقدمة

يمثل الأدب العربيّ - شعرًا ونثرًا - ديوان العرب، فهو يضمُّ طائفة من التعبيرات التناظرية التي طالما رددتها الألسنة على مرّ التاريخ، وربّما أخذ بعض الناس هذه الأمثال، وصاغها في شعر أو نثر صياغةً جديدة، فغيّر بعض الألفاظ أو قدّم أو أخّر. وهكذا تولد الأمثال في الخطاب النصيّ عبر ثنائية الوصف والسرد، فالمنشئ " منذ أول كلمة يخطّها، يخلق عالمها، وبه يخلق هذا العالم ذاته، مهما يكن دقيقًا، كوصف ظاهرة تقنية، أو وضع

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

اجتماعيّ، أو حركات باطنية، فليس هذا الوصف نسجًا، بل دائمًا خلقًا" (ايزر، ١٩٨٨م، ٧٧).

إنَّ أغلب الآثار الأدبيّة والثّقافيّة مؤقتة ومحدودة؛ لأنَّها تصدر بتأثير عوامل اجتماعيّة معيّنة، فتلبي حاجات عقليّة واجتماعيّة، ثم تفقد قيمتها بزوال ذلك العامل المُحفِّز، ولا يكون لها من الأصالة والعمق والعموميّة ما يهيئ لها أن تتعدى محيطها الخاص زمانًا ومكانًا، لكن لا يمنع هذا أن تكون لبعض الأُمم آثار أدبيّة وثقافيّة تبقى خالدة لا ينال من جدتها الزمان؛ لأنَّ البحث فيها يدخل في الكيان الصميميّ لتلك الأُمم، فهي لذلك تُعدُّ عند هذه الأُمم خالدة ما دام لها كيانٌ، وصفوةُ تلك الآثار ما يُعدُّ ملكًا للإنسانية كلّها، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فهي لم توضع لفريقٍ دون آخر، ولم يراعَ فيها شعبٌ دون شعبٍ، وإنَّما خوطب بها الإنسان أنَّى وجد وكائن من كان.

يُعدُّ نهج البلاغة من الآثار القليلة في عددها، العظيمة في قيمتها، وسواء نظرنا له شكلًا أو مضمونًا، وجدناه أثرًا تقل نظائره في التراث الإنسانيّ الضخم، فقد قيل في بيان عظمته:«إنَّهُ دونَ كلامِ الخالقِ، وفوقَ كلامِ المخلوقين» (الصالح، ١٤٢٦: ١٤)، فهو كتاب إنسانيّ «تتحول الأفكار فيه إلى أنغام، وتتحول الأنغام فيه إلى أفكار، ويلتقي عليه العقل والقلب، والعاطفة والفكرة، فإذا أنت من الفكرة أمام كائن حي متحرك ينبض بالحياة، ويمور بالحركة...وهو إنسانيٌّ باحترامه للإنسان والإنسانيّة، وإنسانيٌّ باعترافه للإنسان بحقوقه في عصرٍ كان الفرد الإنسانيُّ فيه عند الحكَّام هباءةً حقيرةً، لا قيمة لها ولا قدر، إنسانيٌّ بما يثيره في الإنسان من حب الحياة والعمل لها في حدودٍ، تضمن لها سموها ونقاءها» (شمس الدين،٢٠٠٧م/١٧)، ولهذا وغيره يبقى (نهج البلاغة) على الدهر أثرًا من جملة ما يحويه التراث الإنسانيّ من الآثار القليلة التي تعشو إليها البصائر، إذ تكتنفها الظلمات.

تعدُّ تجربة السرد من أوائل التجارب التي خاضت فيها الشعوب، بدليل وفرة ما وصل إلينا من موروث الأدب العربي في صوره المختلفة، وأنماطه المتعددة، ناهيك عن الضائع منه، ونعني بذلك تلك الحكايات والقصص القديمة التي توشحت بقوالب الأمثال والحكم، والتي تناقلتها الألسن جيلًا عن جيلٍ حتى وصلت إلى مرحلة التدوين، فدوّنها الكتّاب، وحفظتها بطون الكتب. وأمة العرب كغيرها من الأمم تركت لنا سجلًا حافلًا بمختلف فنون القول. لقد بات من الضروري اليوم قراءة التراث العربي القديم على وفق المناهج الحديثة والمعاصرة وبمعنى آخر لا بُدّ من البحث والتنقيب والتفتيش الجيد في تراثنا،

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

ولاسيما ما تعلق منه بالجانب النثري، هذا الجانب الذي عانى التهميش من الدارسين الأولين والآخرين، مقارنةً باهتمام الدراسات والبحوث بشقيقه (الشعر)، إذ اكتفى جلها بالجمع والتبويب بدل الدراسة والتحليل، وإنْ وجدت دراسات ما، فقد حظيت بها الفنون المعروفة كالقصة والمقامة والسير. أما المثل؛ فاكتفى الدارسون بتصنيفه ضمن نوادر العرب وحكمها وأيامها، من دون محاولة الخوض في مراحل تكوينها، وبناء سرديتها، حتى إنهم يطلقون على القصة الأصلية لقول المثل لفظة مورد، وهذه اللفظة بعيدة كل البعد عن مفهوم القصة والسرد، ولعل السبب راجع إلى تخوف النقاد والدارسين من الخوض في مثل هذه الفنون النثرية التي ظهرت في وقت مبكر ومازالت في نظر الكثيرين تحمل صبغة من السذاجة والعفوية، ولا ترقى لجعلها محل دراسة معمقة. (بن منصور،٢٠٠٧، المقدمة).

إنَّ الأعراف والتقاليد والعادات التي تمثلت بالتعابير التناظرية في نهج البلاغة، هي من اختراع المجتمع العربيّ الجاهليّ، وهذا يدلُّ على توظيف لغة نهج البلاغة تلك المواقف والأحداث السردية، حتى أصبح نهج البلاغة سجلًا صادقًا لتاريخ القبائل العربية قبل الإسلام وعصر الرسالة والخلافة الراشدة، بل مثّل نهج البلاغة سجلاً سرديًا لحضارات أُمم خلت قبل ظهور المجتمع العربيّ، على أنَّ العادات والتقاليد والأعراف والأمثال ظواهر إنسانيّة لا يمكن أن تحدد أو تحصر بأُمةٍ دون أخرى، فهي ظواهر ذات طبيعة حكمية عامة، تظهر عند كلّ الناس، وتخرج على كلِّ لسان، لذلك قيل: من الصعب إرجاع الأمثال الإنسانيّة العامة إلى جماعة معينة (جواد، ١٩٧١م، ٨-٣٦٣).

ولا بُدَّ من الإشارة أنّ هذا النمط من الدراسة جديدٌ في مجاله؛ لأنَّه تشكّل قس ظلِّ مناخات علميّة متعددة، كعلم اجتماع الأدب، وعلم اللغة الاجتماعيّ، والانثربولوجيا اللغوية، وعلم الاجتماع. ولم يجد الباحث – بحسب علمه المتواضع – بحثًا أو دراسة تناولت ذلك.

ومن هنا اقتضت الضرورة دراسة الأمثال السائرة وآليات سردها في كتاب نهج البلاغة وفق المنهج التاريخيّ، مع اعتماد المنهجين السياقيّ والوصفيّ التحليليّ. في مبحثين اثنين، هما:

١.المثاقفة الاجتماعية وسرديات الرمز اللغويّ:

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

تتبوأ فكرة المجتمع في نهج البلاغة مكانًا مرموقًا في ما اشتمل عليه من نصوص، فسِرُّ عظمة هذا الكتاب، هو إيمانُ مُنشئهِ المُطلق بكرامة الإنسان، وحقِّهِ المُقدس في الحياة الحرَّة الشريفة، وأنَّ هذا الإنسان مُتطوّر أبدًا، وأنَّ الجمود والتقهقر والتوقف عند حال من أحوال الماضي أو الحاضر ليست إلاّ نذير الموت ودليل الفناء، وقد عبر عن قاعدة التّطوّر هذه بقوله:« لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنَّهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم»(الصالح،١٤٢٦، ٢١٠)، ومثل هذه القاعدة الاجتماعيّة التي تتناول المسلك الإنسانيّ كلَّهُ، توجّه كلَّ نشاطٍ، وتراقب كلَّ عملٍ، قال الإمام علي «من تساوى يوماه فهو مغبون»(المصدر نفسه-٣٦) ، فالتصريح بأنَّ الغبن لا يلحق الجماعة من الناس إلاّ إذا استوى حاضرهم وأمسهم، ولا يكون ذلك إلاّ بالانسياق مع تيار الحياة الذي لا يهدأ.

وقليل جدًا من عظماء التاريخ من أسس نظريات في الاجتماع بلغةٍ مُعبرةٍ مُقتضبةٍ واعيةٍ. فهو القائل : «الاحتكاك جريمة»(المصدر نفسه-١١٣)، و«مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ (المصدر نفسه: ٥٣٤)، و«الذنب الذي لا يغتفر هو ظلم العباد بعضهم لبعض»(المصدر نفسه، ١٩- ٢٣)، ثم وصف الإمام الناس بأنَّهم: "طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ" (المصدر نفسه: ٣)، وغير ذلك من الأقوال التي تثبت حقيقة أنَّ الإنسان مدني بالطبع، أي إنَّهُ خُلِقَ خلقة لا بُدَّ معها من أن يكون منضمًّا إلى أفراد من بني جنسِهِ، ومتمدنًا في مكان بعينِهِ.

أمّا الثقافة؛ فيصعب تحديد معناها بدقة؛ لأنَّ علماء الاجتماع وعلماء الانثروبولوجيا استعملوها بمعانٍ متنوعة، وقد أُحصيت بـ(مئة وستين) تعريفًا(فرج،٢٠١٢ ،٢٣) اذا تتبعنا مراحل تطور هذه الكلمة وجدناها عبّرت في الأصل عن وضع اجتماعيّ أصاب نوعًا من التقدم، وأصبحت عند ذلك المجتمع مكتسبات يرثها جيل عن جيل.

ويُعدُّ تعريف (تايلور) للثقافة: (الاكتساب والتوارث) أكثر شمولًا، فهي في نظره ذاك الكلّ المُعقد الذي يضمُّ معًا العلوم والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف وجميع الاستعدادات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه فرداً في المجتمع (La sociologies Duct , Maraa bout Tom p: 71)، وأبرز ما يميز الثقافة أنَّها ترتبط بالحياة (من إعتقادٍ ودينٍ وأدبٍ وأعرافٍ ...وسواها) (La sociologies Duct , Maraa bout Tom p: 50)قُبالة الحضارة التي تختصُّ بالتقنيات والتنظيمات الاجتماعيّة.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

ويرى (لالو ونيلس) أنَّ الثقافة ترتبط بكلِّ جهد يوجهه الإنسان نحو ذاته، ليدفعها في طريق الكمال، في حين ترتبط الحضارة بأفعال الإنسان الموجهة نحو إحداث التعديلات في العالم التي تتجسد في أعماله(La sociologies Duct , Maraa bout Tom p: 50)

ولما كانت اللغة تستمد أهميتها في الدلالة على ثقافةٍ معينة من أُمها، موازية لوجود تلك الثقافة، تتبادل وإياها الوظائف في موضوعات التعبير، وتعيرها رموزها لتجسيد هذه الموضوعات، فنتج عن ذلك التلازم الذي يولد التآخي والتشابه، حتى غدت الثقافة محدودة بحدود اللغة، مع أنَّ اللغة جزءٌ من الثقافة، وهذا يعني بمجملهِ أنَّ اللغة تسيطر على التفسير الثقافيّ، وقد أثار العالم النفسيّ الأمريكيّ (دونلاب) فكرة إمكان اكتشاف شيء جديد من حياة المجتمع من خلال تحليل لغته، فعندما ندرس البنية اللغويّة لشعب من الشعوب، فنحن ندرس أساليب تفكيره، وعندما ندرس مفرداتها نتعرف أنماط التمييز عنده، ولا نبعد عن الحقيقة إذا وصفنا اللغة بأنَّها تبلور لتفكير الشعب(Les texts De La sociologie mode p : 99)، أو كما عبر عنها ابن جني بأصوات يعبر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم والأغراض دليل تفكير الشعوب وسلوكه.

ومن وجوه الاستعمال الرمزيّ للتعبير اللغويّ الأمثال السائرة، التي هي خلاصة تجربة إنسانيّة أو اجتماعيّة غدت أنموذجًا لنمط من التعرف أو السلوك في حادثة أو موقف أو قصة.

فالرمز في العبارة المثليّة قد لا يؤدي معناها الظاهر أية دلالة واضحة، إذ إنَّهُ يُلخصُّ التجربة التي تحمل عظةً، وتذهب مثلًا. وهذه التعابير الرمزيّة هي أصعب أنواع الرموز فهمًا، إذ لا يكون بين الدال والمدلول عليه أي صلة معروفة، فلا يمكن إدراك معناها الحقيقيّ إلّا بمعرفة القصة أو الحادثة، وهذا يقصر فهمها على أبناء الجماعة الذين يتناقلون تجاربها، ويظلّون على اطلاع على معجم مصطلحاتها (فرج ، ٢٠١٢،٢٣٤) .

ولسرد التمثيل على ذلك ورود بعض الألفاظ الصحراويّة في نهج البلاغة التي باتت غريبة وظلّت كذلك، منذ أن أظهرها الإمام علي في نهج البلاغة إلى القرن الثاني الهجريّ، حينما سجّلها أبو عبيد القاسم بن سلّام(ت/٢٢٤هـ) في كتابه (غريب الحديث) (الهروي:1976-٤٣٦)، لفظة (اللَّدم). جاءت هذه اللفظة في كلام الإمام علي لما أُشير عليه بألاّ يتبع طلحة

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

والزبير ولا يقاتلهما، فقال «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا...» (الصالح،١٤٢٦ / ٥٤).

واللّدم صوت الحجر أو العصا أو غيرهما، تضرب به الأرض ضربًا ليس بشديدٍ (الجواهري،٥،١٩٥٦/٢٠٢٩)، ومعنى النصّ هو: لا أقعد عن الحرب والانتصار لنفسيّ وسلطانيّ، فيكون حالي مع القوم المشار إليهم، حال الضبع مع صائدها، والعرب تقول في رموزها وأمثالها: " أحمقُ مِنَ الضَّبُعِ"(العسكري ،١٣٨٤،٢٧٦).

ويأتي حُمق الضَّبُعَ - كما تزعم العرب (الصالح ، ١٤٢٦ه،١٤٨) ، من أنَّهم إذا رموا في جحرها بحجر، أو ضربوا بأيديهم باب الحجر، فتحسبه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه، فتُصاد عند ذلك، ويبلغ من حُمقها أنَّ الصائد يدخل عليها وجَارَها، فيقول لها: أُطرقي أمّ طُرّيق، خامري أمَّ عامر، أي طأطئي رأسك، فقالوا: فتلجأ إلى أقصى مغارها، فيقول: أمُّ عامر ليست في وجرها، أمُّ عامر نائمة، فتمدُّ يديها وتستلقي، فيدخل عليها الصائد، فيوثقها، فيقول الصائد: أبشري أمَّ عامر، فتَشدُّ عراقيبها، فلا تتحرّك، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها، ومن هذا المعنى قول الكميت (الاسدي، ١٩٦٩،١٦٧):

فعْـــلُ المَعَـــرَّة للمقـــا لـــة خـــامري يـــا أمَّ عـــامرْ

وقال الشَنْفَرى(الشنفرى،١٩٣٧،٣٦):

لا تقبروني إنَّ قبريَ مُحرَّمٌ عليكم ولكن خامري يا أمَّ عامرْ

لا تقبرونـي إنَّ قبـريَ مُحـرَّمٌ علـيكم ولكـن خـامري يـا أمَّ عـــــــــــــــــامرْ

وقد توسع ابن سيده في معنى لفظة (اللَّدم) فقال: " لدمتْ المرأة صدرها؛ ضربته، ولدمتُ خبز الملة، ضربته "(ابن سيدة ،١٩٥٨،٦-٤٧٠)، وزاد ابن منظور على السابقين في دلالة (اللَّدم) المعنوية بقوله: «وإنَّ اللّدم بمعنى اللطم والضرب بشيءٍ ثقيل يُسمع وقعُه» ابن منظور ،١٣٧٤، ١٢-٥٣٩). ولفظة (اللّدم) من الألفاظ الغريبة، واختلاف دلالاتها في المعجمات إنَّما يدلُّ على غرابتها، ويؤكد هذه الغرابة أمران:

الأول: عدم توسع المعجم الحديث في دلالتها، بل أورد الدلالات السابقة القديمة؛ وذلك يدلُّ على عدم استعمالها حديثاً في دلالة جديدة.

والآخر: أنَّها من الألفاظ الصّحراويّة التي انتقلت إلى الحضر عند ارتحال الأعراب من البدو. الذي يقصد إليه الإمام علي هنا معنى دقيق، بعيد عن الضرب، لأنَّهُ مستعار، وكأنه يقول: لن أقعد عن طلب الحق على الرغم من

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

المكائد والدسائس، وكثرة الحروب، وقد كنى باللّدم عند الخديعة، كما يَخْدَع الضَّبُعَ صائدوها، فعلّق الإمام هذا المعنى الجديد(الخديعة)للّدم، وحده في أذهان المجتمع، وتحول إليه مدلول هذه الكلمة، وأصبحت دلالة صريحة فيهما، وانقرض معناها القديم في الاستعمال، وبقي مدوّناً في متون المعجمات فقط.

وجاء في موضوع آخر من نهج البلاغة: «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ؛ يَسْمَعُ النَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ»(الصالح،١٤٢٦، ١٤٨-٢٠٧)،والنصُّ أيضًا خاص بطلحة والزبير، وعبارة : «مستمع اللّدم» كناية عن الضَّبُع، تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد، فتخذل وتكفّ جوارحها إليها، حتى يدخل عليها فيربطها، وكأنّه يقول: لا أكون مقرًا بالضيم، أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجملِ الحكيمَ بن جبلة وأتباعه، فلا يكون عندي من التعيير والإنكار لذلك، إلاّ أن أسمع وأحضر الباكين على قتلاهم (الصالح ،١٤٢٦،٧٨)، فأصاب لفظة (اللّدم) تطورًا دلاليًا وانتقاليًا من البيئة الصحراوية إلى البيئة الحضرية، ويعدّ التطور الدلاليّ من أسباب تطور اللغة، وما يعتري ألفاظها من مدلولات مجازيّة (وافي،١٩٧١،٥٦)في نطاقها سعةً أو ضيقًا.

وفي نهج البلاغة نجد أنَّ التراث الثقافيّ العربيّ قد تجلى بوضوح ضمن أُطر اجتماعيّة الفرد (الإمام)، إذ إنَّ شدّة الحافظة التي اشتهر بها أمكنته من استظهار التراث الثقافيّ العربيّ، وقد أخبرنا عن شدّة تلك الحافظة بقوله «إنّ ربي قد وهب لي قلبًا عقولًا» (الاصفهاني، د-ت،١-٦٧)، ومن مظاهر ثقافته العامة أحكامه على الشعر، جاء في نهج البلاغة: عندما سئل: من أشعر الناس. فقال «إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ» (الصالح، ١٤٢٦ق/٤٥٥) ويقصد به امرئ القيس.

وظاهرة العادات والأعراف والتقاليد علامة تحكي لون حضارة كلّ أمة، وتعبّر عن مدى ارتباطها بالمعاني الإنسانية الموروثة، وتصف مضامين هذه المعاني، وما تنطوي عليها من قيم وأهداف على نحو أمثال تتداول بين المجتمعات من جيل إلى آخر.

إنَّ العبارات التي جرت بين الناس أمثالاً تُذكر ويُستشهد بها، إنَّما هي خلاصة تجارب أجيال من الناس، صاغوها وبلوروها، ممّا عرض لهم من حوادث الزمان ووقائع الأيام.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

لقد أشار محمد جابر الفياض إلى دلالة عبارة المثل على القصة أو الحادثة التي قيل فيها المثل، وهي على ما يبدو دلالة ضمنيّة، تنطوي تحت دلالته على عموم المماثلة، فالنسبة بين موقف سابق وموقف لاحق كالشبة بين شيئين متقابلين (الفياض ،١٣٧،١٩٨٨)، وفي ذلك قال الزمخشريّ: " ثم سُمِّيَتْ هذه الجملة من القول، المُقتضَبة من أصلها، أو المُرسلة بذاتها، المُتسمة بالقبول، المُشتهرة بالتداول، مَثَلًا؛ لأنَّ المحاضر بها يجعل موردها مثلاً ونظيراً لضربها" (الزمخشري،١٩٦٢، المقدمة).

وهذا يدلُّ على أنَّ الأمثال عموماً تمثّل مغزىً اجتماعيًّا، انتُزع من موقف إنسانيّ أو قصة تظهر مجموعة مواقف، وهذه المواقف تمثّل وقائع (قصة) حدثت في ظروف معينة. وجاء في نهج البلاغة على هذا النسق: «...من بناتٍ مَوؤُودةٍ...» (الصالح، ١٤٢٦ق/ ٢٩٠).

قيل: كان سبب قتل البنات في الجاهليّة أنَّهُ لمّا مُنِعَت تميم الإتاوة، وجه إليهم النعمان بن المنذر كتائب، فاستاق البهائم وسبى الذراري، فأتاه القوم، وسألوه النساءَ، فقال النعمان: كلُّ امرأة اختارت أباها أو أخاها أو زوجها، رُدَّت إليه، ومَنْ اختارت صاحبَها السّابي تُرِكَتْ عليه. فكلُّهُنَّ اخترنَ آباءهنّ إلاّ ابنة لقيس بن عاصم، فإنَّها اختارت صاحبها عمر بن المشمرج. فنذر قيسٌ أنَّهُ لا تولد له بنتٌ إلاّ وَأَدَها أَنَفَةً. واقتدى به جماعة من العرب، وقالوا: لا نقتلهُنّ عجزًا عن الإنفاق عليهنّ، ولكن مخافة أن يتزوّجنَ غيرَ الأكفاءِ (البيهقي، ١٩٨٨، ٧٢٤/٢).

ويُروى لصعصعة بن ناجية ناقتان عُشَراوان، فقال صعصعةُ: ركبتُ جملًا في طلبهما، فرُفع لي بيت من الحرير، فقصدتُه، فإذا شيخٌ بفناءِ الدارِ، فسألته عن الناقتين، فقال: ما مِيسَمُهما؟ فقلت: مِيسَمُ بني دارم، فقال: هما عندي وقد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مضر. فانتظرتُ لتَخرجا إليّ. فإذا عجوزٌ قد خرجت من كسرِ بيتٍ، فقال لها الشيخ ما وضعت؟ إنْ كان سَقْبًا شاركنا في أموالنا، وإنْ كان حائلًا وأدناها، فقالت العجوز: ولدت أنثى، فقال الشيخ: إديها، فقلتُ: أتبيعُنيها؟ فقال: هل تبيع العرب أولادَها؟! فقلتُ: إنَّما أشتري حياتها لا رِقَّها. قال: فبكم؟ قلتُ: احتكِمْ. فقال الشيخ: بالناقتين والجمل، فقلت ذاك لك.

فقال صعصعة لرسول الله آمنتُ بك، وقد صارت لي سنّةٌ في العرب أن أشتري كلَّ موؤدَةٍ بناقتين وجمل، فلي إلى هذه الغاية مئة وثمانون موؤودة، وقد أنقذتُها من القتل، هل أنتفع بذاك وأؤجر عليه؟ فقال رسول الله لا يَنْفَعُكَ؛

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

لأنَّك لم تبتغِ بهذاك وجه الله تعالى. وإن تعمل في إسلامك عملًا صالحًا- وإن كان قليلًا -نَفَعَكَ (الهيثمي، ١٣٥٣ق،١-٩٤-٩٥) و(الطبراني، ١٣٩٧ه-٨-٩١-٩٢).

وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه عن قتل الموؤودة بقوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيّاكُمْ...﴾ (الإسراء/ ٣١)وقوله تعالى: ﴿وَإِذا المَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير/ ٨). وهكذا مثّلت هذه الوقائع فيما بعد عرفًا أو تقليدًا اجتماعيًّا، جمع شتات تلك القصة في عبارة مُوجزة في اللفظ مُكثفة في الصورة، تمثل حصيلة ما يؤديه المغزى العام لتلك القصة.

فالعبارات المثلية على وفق ما تقدم تمثل نظرة أُمة إلى الحياة ورأيها في تفصيلات الاجتماع ومظاهر الأخلاق، مُعبّرة عن ذلك كلّه بأدوات لغويّة مُوصولة بوسائل حياة الناس، وبأساليب عيشهم.

وكان للعرب النصيب الأوفر من الأمثال الدالة على أعراف المجتمع وتقاليده، وهي تنطق بحكمة الحياة، صاغوها في إطار المناخ العربيّ الجاهليّ أو الإسلاميّ ـ من تجارب الحياة اليومية ـ عبر مجتمعات متصلة بصلات ثقافيّة وتاريخيّة ولغويّة، تمثل في مجموعها الصلات الاجتماعيّة جاء في نهج البلاغة: «وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ» (الصالح، ١٤٢٦،٤-٤٥)

فالأمثال تمثل عقليّة قائلها، أو قلْ عقليّة المجتمع ؛ لأنَّ الأمثال إنَّما جاءت نتيجة تجارب اجتماعيّة متعددة، تجسدت من طريقها حقيقة اجتماعيّة، صاغها قائلها بقوالب لغويّة، انمازت بالدقة والتركيز والإيجاز؛ فعقلها المجتمع، لما تخفيه في طياتها من مضامين اجتماعيّة قصصًا تمثلت بأعراف وتقاليد وعادات، وهكذا كان الإمام كثير التمثيل بالضَّبُع وسلوكياته وصفاته، ففي قوله«فما راعني إلاّ والناس إلي كعُرْفِ الضَّبُعِ، ينثالون عليه من كلّ جانب...»(الصالح، ١٤٢٦،٤-٤٥)، يصف حال المبايعين له بالخلافة بـ«عُرْفِ الضَّبُعِ»؛ لثخنهِ، وكثافته.

و(عُرْفُ الضَّبُعِ) ما كَثُرَ على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام؛ لذا أخذ المتكلمون هذا المعنى، وقالوا: العقل نوعان؛ غريزيّ ومُكتسب، فالغريزيّ، يتمثل بالعلوم البديهيّة، والمُكتسب، يتمثل بما أفادته التجربة وحفظته النفس (المصدر نفسه،١٦-٢٦٩).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

إنَّ استعمال الإمام هذا اللفظ بهذا التوظيف يوحي بمعرفته حياة الحيوان وطرائق عيشه وتعامله مع محيطه، وتأثره بالبشر وطرائق تعاملهم مع الحيوان، فضلًا عن معرفته بصفات الحيوانات وتفاصيل تشريح أعضاء أجسامها، وما يضرب بها مثلًا للشجاعة والقوة والصبر والتحايل، وما يضرب بها مثلًا للضعف والجبن والتسليم للأقوى وضعف الحيلة وحسن التخلص من المواقف العسيرة.

وهكذا أصبحت هذه العبارات أمثالًا يتداولها الناس، إذ حملت اللغة- شعرًا ونثرًا -ذخيرة واسعة من العبارات، منها ما تختصُّ بالضَّبُع وصفاته وسلوكياته عبر القرون، ونالت حظًا من التداول الاجتماعيّ في البيئات العلميّة وغير العلميّة، كلٌّ بمقتضى ثقافته، ونوع همومه، ومنحى أهدافه.

إنَّ هذا التداول المثليّ والعرفيّ يشير إلى الارتباط الواضح بين الحاضر والموروث، ويعني انتماءً إلى المنظومة القيميّة المعرفيّة والأخلاقيّة للحضارة عبر مراحل من التّدّرج، تدلُّ على عقليّة مَن صاغها من جهة، وعلى عقليّة مَن أجاد استعمالها على وفق دلالاتها المعنويّة، فحياة الأُمم والشعوب فيها تنوّع واختلاف وسلائق خاصة بكلٍّ منها؛ لأنَّ لكلِّ مجتمع بشريّ طبائع وأعرافًا متداولة وقيمًا تميزه من غيره. ولا بُدّ لنجاح دراسة أي مجتمع أن تعتمد على سبر أغوار التراث المتراكم الذي ما زال بعضه حيًا حتى الآن، تتداوله الشعوب والمجتمعات جيلًا بعد جيل.

وصفوة القول: إنَّ المثل على الرغم من أنّه يمتاز بالإيجاز والتركيز، والوضوح والبيان، والدقة والاختزال، وبما يحمل من خبرة حياتية تمسُّ الجوهر الإنسانيّ في الصميم، هناك عدد من الأمثال الدالة على عُرْفٍ أو عادةٍ أو تقليد لمجتمعٍ ما، لم تتخذ شهرة المثل السائر، إلاّ أنَّها انتقلت من ذلك المجتمع إلى المجتمع الجديد، وبتلك الصياغة الحكيمة للمثل، فأضفى عليها حياةً جديدةً، نتيجةَ استعماله للعبارة في دلالتها الجديدة، ومطابقة مقتضى الحال لما شُبّهَ به من مضمون اجتماعيّ اختزلته تلك العبارة المُوجزة، وما دلالة لفظة (اللّدم) الجديدة– سالفة الذكر - إلاّ دليل صادق على ذلك. واجتمعت فيما بعد بمنزلة الأمثال والحكم الدائرة في المجتمعات لسهولة تداولها بين الناس، ولاسيما الأدباء والشعراء منهم، ممّا يجعلها يسيرة الحفظ والتذكّر والاستشهاد والتأثير.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

٢. توافق الأمثال السائرة والعادات والتقاليد في الاستعمال العربيّ:

لم يخرج كلام الإمام علي في نهج البلاغة عن عادة العرب في نسبة كثيرٍ من الأمور إلى الدهر على المجاز، وإنَّما الحقيقة هو انتساب هذه الأمور إلى الله تبارك وتعالى، ومنها: «...عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ، آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُه، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ...»(الصالح ،١٤٢٦-١٥٧) ، وكأنّ الدهر يرفع ويضع، ويُغني ويُفقر، يوُجد ويُعدم، وعبارة: (متظاهرة أعلامه) أي إنَّ دلالته على سجيته التي عامل الناس بها قديمًا وحديثًا، ومتظاهرة، يعني يقوي بعضها بعضًا، وهذا كلام كلّه جارٍ منه على عادة العرب في ذكر الدهر.

ومن عادة العرب أنَّها تقول للكرام من الناس، قليلي المأكل والمشرب، رافضي اللباس الرفيع، ذوي الأجسام النحيفة «مِراضٌ من غير مرضٍ»، ويقولون أيضًا للمرأة ذات الغضيض الفاتر، وذات الكسل: «مريضة من غير مرض». جاء على عادة العرب في نهج البلاغة قولهفي وصف المتقين: «..فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ...» (الصالح، ١٤٢٦ ،٣٠٥-١٩٣).

لقد أحدث الإمام تغييرًا في عبارة المثل، وهذا أمرٌ طبيعيّ، فقد يصيب المثلَ تغييرٌ في عبارته، وهذا التغيير الذي يطرأ على عبارة المثل يكون على ضربين، حذف أو إضافة، كلٌّ بحسب سياقه في الكلام، فالأعراف والتقاليد والعادات فضلًا عن التطورات الحضاريّة المختلفة تلقي بظلالها على حركة المجتمع وتطوره وتقدمه، فالحركة الاجتماعيّة لا تقوم بها طبقة من المجتمع دون الأخرى، فالجميع يضع طابعه على تاريخ البلد، وتبعًا لاختلاف الطبقات التي تتلقى الموروث الثقافيّ من عادات وتقاليد وأعراف، يحدث تطور في لغة العرف أو التقليد، وذلك بتغير صيغة أو تقديم وتأخير أو حذف أو إضافة مع بقاء المعنى واحدًا بين الحدث الأصليّ والحدث المطابق.

وعلى هذا النسق جاء كثير من الأمثال على غير صيغها، فقولهم في المثل: «إنَّ الحديث لذو شجون» (الضبي،١٩٧٩،١٦٨) أورده الضّبيّ هكذا في كتابه: (أمثال العرب)، في حين نجد الميدانيّ يورده: «الحديث ذو شجون» (النيسابوري، د.ت،١-١٥٦) وغير ذلك.

ومن عادات العرب أن تطلق عبارة: (ابن اللبونِ) معرفًا، أو (ابن لبونٍ) منكرًا، على ولد الناقة الذكر إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة، ولا

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

يقال للأنثى (ابنة اللبون)، وذلك لأنَّ أُمها في الأغلب ترضع غيرها، فتكون ذات لبن، واللبون من الإبل والشاة: ذات اللبن، غزيرة كانت أم بكيئة (قلَّ لبنها)، فإذا أرادوا الغزيرة قالوا: لبِنَة (الصالح،١٨،١٤٢٦-٢٤٦). وعلى سياق الكلام المتقدم جاء في نهج البلاغة: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ» (المصدر نفسه،٤٦٩).

ولما كان (ابنُ اللَّبُونِ) ولدَ الناقة الذي دخل في سنته الثالثة؛ فإنَّ أُمّه تكون قد وضعت غيره، فلها لَبن، لذلك يحمل كلامه على دلالتين:

الدلالة الأولى: أن يكون المراد من ذلك: كنْ في الفتنة بحيث لا مطمع فيك لأحدٍ من طريق القوة ومن طريق المال، يعني لا تُهيّج الفتنة بنفسِك ومالك، فعبّر عن القوة بلا ظهر، وعن المال باللبنِ.

الدلالة الأخرى: أي لا تكن في الفتنة منقادًا لصاحب الفتنة بحيث يركَبُكَ، أي يُحمّلُكَ وِزْرَهَا، ويستمد منك كما يستمد الحالب من اللبن. والمراد بالقولين: لا تكن سَلسَ القيادِ في الفتنة والشرّ(البيهقي ،٢،١٩٨٨-٧٨٨) .

وعلى عادة العرب واعتقادهم أنَّ الشمس منزلها ومقرها تحت الأرض، جاء السياق اللغويّ في نهج البلاغة:" فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا وَنَكَصَ نَادِمًا فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ" (الصالح،١٤٢٦-٤١٠)، فقوله"للإياب"، يعني للرجوع، أي ما كانت عليه في الليلة التي قبلها، يعني غيبوبتها تحت الأرض.

وهذا الخطاب إنَّما هو على قدر إفهام العرب، إذ كانوا يعتقدون أنَّ الشمس مقرّها ومنزلها تحت الأرض، وأنَّها تخرج كلَّ يوم، فتسير على العالم، ثم تعود إلى منزلها، فتأوي إليه كما يأوي الناس ليلًا إلى منازلهم (الصالح،١٤٢٦-٣٠)، ويحتمل أن يكون الاستعمال هنا مجازيًا.

ومن عادات العرب أنهم يجعلون الخَمْل إلى الجسد، وتُظهِر الجلد، فجاء السياق اللغويّ تبعاً لهذه العادة في قوله «ولُبِسَ الإسلام لُبْسَ الفرو مقلوبًا...». (الصالح، ١٤٢٦-١٥٨) أي انعكاس الأحكام الإسلاميّة في ذلك الزمان.

ومن العادات العربية في الجاهليّة (العادات الفلكيّة) الإيمان والتعلق بالسماء والنجوم والكواكب، والظواهر كالليل والنهار، والدهر والزمان... وغيرها، فجاء السياق اللغويّ على وفق عادات العرب في قوله: «أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ، وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا " (الصالح، ١٤٢٦، ١٨٤) .

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

فعبارة :(ما سمر سمير) تعني الدهر، وتعني ما أقام الدهر وما بقي، والأشهر في المثل: «ما سمر ابنا سمير». فقالوا: السمير، الدهر، وابناه: الليل والنهار؛ لأنَّهُ يُسمَر فيهما.

ويقولون: «لا أفعله السَّمَر والقمر»، أي مادام الناس يسمرون في ليلة قمراء، و «لا أفعله سمير الليالي»، أي أبداً، قال الشَّنفَرى (المصدر نفسه: ٢٨٦) الأزديّ:

هُنالِكَ لا أرجو حياةً تسُـرُّني سَمير اللّيالي مُبسلًا بالجَرائِرِ

وعبارة: «ما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً» أي قصد وتقدم، لأنَّ العرب ترى أنَّ النجوم يتبع بعضها بعضًا، فلابُدّ من تقدم وتأخر، فلايزال النجم والكوكب وأمّ نجم نجمًا هو أصناف الاتصالات من:(المقارنة، والمقابلة، والتسديس، والتثليث، والاتصال المطالعيّ، والجبر، والإقبال، والإدبار، والانصراف، والنقل، والجمع، وردِّ النور، والمنع، ودفع الطبيعة، ودفع القوة... وغيرها). (البيهقي،١٩٨٨،١-٤٨٥) .

وربما نجد أمثالًا صاغها قائلوها من معنى قرآنيّ أو تركيب قرآنيّ مع الإبقاء على الظلّال المعنويّة الرابطة بين الصياغتين شكلًا ومضمونًا. جاء في نهج البلاغة «...قذفًا بغيبٍ بعيدٍ...» (الصالح،١٤٢٦-٢٨٨)، أي قال إبليس هذا القول: قذفًا بغيبٍ بعيدٍ، والقذف في الأصل: رَمي الحجر وأشباهه، والغيب: الأمر الغائب (دشتي ،محمد واخرون ،١٩٩٠،٢- ٤٤٦ (قذف).

وهذه العبارة مقتبسة من الألفاظ القرآنيّة، قال تعالى في كفار قريش: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَكانٍ بَعيد﴾. سبأ/٥٣، أي يقولون: هذا سحرٌ، أو هذا من تعليم أهل الكتاب، أو هذه كهانة أو غير ذلك ممّا كانوا يرمون به النبي محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد يحصل تطور في صيغة المثل، نتيجة التغيير الذي يجري على المثل في البيئة التي أوجدته، فالعربيّ مثلًا يقول: «كمستبضغ التمر إلى هجر»؛ وذلك أنَّ (هجر) ، معدن التمر مدينة في البحرين كثيرة التمر، وسبب ذلك أنَّ رجلًا أحمق من أهل هَجَر قدم البصرة ومعه مالٌ كثيرٌ ليشتري به شيئًا للربح، ويحمله إلى هَجَر، فلم يجد شيئًا أكسد من التمر، فاشترى بماله التمر، وحمله إلى هَجَر، وتَلِفَ ماله وفسد التمرُ في بيوته ، فضُرِب به المثل. (البهيقي، علي بن احمد،١٩٨٨،٢-٥٠١).

جاء في نهج البلاغة: «كناقل التمر إلى هجر» (الصالح،١٤٢٦-٣٨٦)، وأصل المثل «كمستبضع تمرٍ إلى هَجَر» (الميداني،٣-٣٩،

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

العسكري،١٩٨٨،٢٥-١٤١). والتطور في الصيغة من (مستبضع) إلى (ناقل)، وأحدث حسان بن ثابت تطورًا آخر حينما ضمن قصيدته التي قالها في أول إسلامه، يردُّ بها على ضرار بن الخطاب بقوله:

فإنّا ومَنْ يُهدي القصائد كمسبتضعٍ تمرًا إلى أهل
نحونا خيبر
(الانصاري، ١٩٢٩م/٧٨)

وقال الشاعر:

فإنّك واستبضاعَكَ الشِّعرَ كَمُستَبضِعٍ تمرًا إلى أهلِ
نَحْوَنا خَيْبَر
(ابن منظور ،١٣٧٤، مادة بضع)

ويُلحَظُ أنّ التشبيه الذي رافق المثل في رحلته الطويلة قد بثّ الحياة في عبارة المثل، وبعثها على البقاء وأكسبها جمالًا ورونقًا، ومنحها القدرة على الإيحاء بما يزيد المثل بيانًا، ويجعل أكثر دقة وتحديدًا، أو يجعله أشدَّ تأثيرًا وأكثر جمالًا.

ولما كانت الأمثال تمثل معنىً من معاني الاستعارة، التي تعني " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"(الجرجاني،١٠٦،١٩٦٩)، جاء في نهج البلاغة:«...ولو يطاع لقصيرٍ أمرٌ...» (الصالح،٣٥،١٤٢٦-٨١) هذا مثل عربيّ قديم، جاء به الإمام على سبيل التشبيه الاستعاريّ بين الموقف السابق والموقف اللاحق، وأصل المثل: هو أنّ جذيمة الأبرش ملك العرب خَطَبَ (الزَّبَاء) وهي ملكة الجزيرة، فأمرته الزَّباء بالقدوم عليها، فزيّن نصحاء جذيمة له ذلك، وتابعوه، فخرج جذيمة بألف فارس، وخلف سائر جنوده مع ابن أخته عمرو بن عدي، وكان لجذيمة مولىً يقال له قصير بن سعد اللّخميّ، وكان مخالفًا لرأي جذيمة في الإقدام على الزَّباء، فلما وصل جذيمة إلى منزلٍ قريب إلى الجزيرة، استقبلته جنود الزَّباء مع الأسلحة والعُدَّة، وما ترجَّلوا لجذيمة وما عظَّموهُ، فقال قصيرٌ لجذيمة: انصرف فإنَّها امرأة، ومن عادة النساء الغدر والمكر، فما قبل جذيمة قوله، فقال قصير:«لا يُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ» فصار مثلًا بعدما أخذت الزَّباء جذيمة وقتلته (البهيقي، ١٩٨٨،١-٣١٣) .

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

وهذا المثل يضرب لمن كان رأيه صائبًا ولكن لا يقبل، جاء به الإمام عليه السلام حينما وجد أمره غير مطاعٍ. ثم إنَّ الإمام استعمل هذا المضمون بمثلٍ جديدٍ وهو:«لا رأيَ لمَنْ لا يُطاع» (الصالح، ١٤٢٦، ٢٧-٧٢).

تأثر الإمام علي بأساليب الأدباء العرب قبل الإسلام شعرًا ونثرًا، فاقتبس مفردات ومصطلحات، وانتفع بأفكار قائليها، وإنتاج مجتمعاتهم الأدبية والعلمية، ولا يخفى ما لهذا كلّه من أثر بليغ في نهضة لغة نهج البلاغة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها تأثره بمضامين الشعر الجاهليّ الاجتماعيّة، فكان يختار الأبيات ذات المضامين المثليّة والعرضيّة، الدالة على حوادث ووقائع مشهورة تشابه حالة مجتمعه - أفرادًا وجماعات -جاء في نهج البلاغة: فكنتُ أنا وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمُنْعَرَج اللِّوى فلــم تَسْــتَبينُوا النُّصــحَ إلاّ ضُحى الغَدِ

نجد الإمام «وقد تأثر بعبارة دريد بن الصّمَّة: (بمنعرج اللّوى) الدالة على حادثة تاريخيّة من واقع المجتمع الجاهليّ، تمثلت على نحوِ عرفٍ أو مثلٍ لمن لا يُطاعُ أمره، وعاقبة مَن عصاه.

وجمال التمثيل هنا هو إتيانه المعنى في موضعه، لا يبرح إلى معنى آخر، ممّا يرينا مقدرة متفوقة للإمام في الإفادة من مخزونهِ الثقافيّ، إذ تنازع أصحابه بعد نتائج التحكيم، فندم بعضهم، وتذمر قسم، وجَبُنَ آخرون، فأنبهم الإمام على فعلتهم بقبول التحكيم، وقد نصحهم برفضه، وكشف لهم عن نتائجه المخزية، وأتت النتيجة كما توقع.

غزا عبد الله بن الصِمَّة ـ أخو دريد ـ من بكر بن هوازن غطفان، فلم يصدهُ عن وجهه شيءٌ، حتى غنم وساق الإبل، فلما كان بمنعرج اللّوَى أقام وقال: لا والله لا أرجع حتى أنتقع وأُجيل السِّهام، فقال له دريد أخوه وكان معه: لا تفعل فإنَّ القوم في طلبك. فأبى ولجَّ وأقام، ونحر النقيعة، وقد أقعد له رجلًا ربيئًا، فقال عبد الله لربيئه: انظر ما ترى!

قال: أرى خيلًا عليها رجال كأنهم صبيان، رماحهم بين آذان خيولهم.

فقال: هذهِ فزارة، فالتقى القوم، وكان دريد نهاهُ أن يقيم، وقال: إنّ القوم سيطلبونك ويتبعونك ولن تفوتك النقيعة، فطُعِنَ عبد الله بن الصِمَّة، فاستغاث بأخيه، فأقبل عليه أخوه دريد، فنهنه عنه القوم حتى طُعِنَ دريد، وصُرِعَ وقُتِلَ عبد الله، وإذا كان آخر النهار مرَّ بدريد الزهدمان العبسيان، فعرفه أحدهم، فطعنه، قال دريد: وقد أصابتني جراحة فاحتقن الدَّم، فلما طعنني زهدم خرج

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

الدَّم واسترحت، فإذا جَنَّ الليل مشيتُ وأنا ضعيف قد نزفني الدَّم، فوقعتُ بين عرقوبي جمل الظعينة، فنغر الجمل فعرفتني الظعينة، وأعلمت الحيَّ بمكاني، فغُسل عني الدَّم، وزودت سقاءً وزادًا، فنجوتُ ، وكانت الظعينة في سيَّارة من هوازن.

فقال دريد في ذلك: (الاصفهاني،١٣٢٣ه،١٠-٩)

أمَرْتُهُمُ أمْري بمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلاّ ضُحَى الغَدِ

فَلَمّا عَصَوْني كُنْتُ منهم وقد أرَى غوايَتهُمْ وَإنَّني غيرُ مُهتَدي

وهل أنا إلاّ مِن غَزِيَّةٍ إنْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشَدْ غَزيَّةُ أَرْشَدِ

فإن يكُ عَبْدُ اللهِ خَلّى مَكانه فَما كانَ وَقّافًا ولا طائشَ اليَدِ

حتى قيل في المثل: «أعصى من أبي ذفافة» وهو عبد الله بن الصِمَّة، لأنّه عصا أخاه دُريد بن الصِمَّة. أما عبارة: (أخو هوازن)؛ لأنّ دريد بن الصِمَّة من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هَوازن» (الصالح،١٤٢٦،٢-٣٦٩).

ومن العبارات الدالة على حادثة جرت مجرى المثل، ما جاء في نهج البلاغة: "...بعد اللتيا والتي..."(المصدر نفسه: ٥-٥٣)؛ إذ يروى «أنَّ رجلًا من جديس تزوج امرأة قصيرة، فقاسى منها الشدائد، وكان يعبّر عنها بالتصغير، فتزوج امرأة طويلة، فقاسى منها ضعف ما قاسى من القصيرة، فطلّقها، فقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدًا» (الميداني،١-٩٢). فجرى هذان اللفظان مجرى المثل على الدواهي والشدائد.

وقيل: إنَّ العرب تصغّر الشيء العظيم كالدُّهيم واللُّهيم، فأشار إلى الداهية العظيمة باللتيا، وإلى الداهية التي دونها بالتي، وذلك منهم رمز، قال الراجز من حديش: (البهيقي، ١٩٨٨: ٢٤٢)

بعد اللّتَيْا والّتي طلّقْتُ جَهْلاً طلّتي

ومن العبارات التي جاء بها الإمام «في نهج البلاغة ذات المضامين الاجتماعية قوله: «...وانفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس...» (الصالح،٣٤-٧٩).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

ذهب ابن دريد في أمثاله إلى أنَّ الرأس إذا انفرج عن البدن، لا يعود إليه وصار البدن جيفة، لا يتهيأ لأمرٍ ما، ولا يكون بين الرأس والبدن بعد ذلك اتصال، ويعني: انفرجتم عني انفراجًا لا اتصال بعده.

وذهب المفضل إلى أنَّ معناه أنّ الرأس اسم لرجل تُنسب إليه قرية من قرى الشام، يقال لها: بين الرأس، وفيها تُباع الخمور. قال حسان(الانصاري،١٩٢٩،١-١٧) :

كـأنّ سـبيئة مـن بيـت رأسٍ يَكُـونُ مِزاجَهـا عَسَـلٌ ومـاءٌ

ومن حديث هذا الرجل أنَّهُ انفرج عن قومه ومكانه، فلم يَعُدْ وخلّى قومه. وقيل: إنَّ الرأس: القوم الأعزّاء، والرجل العزيز، قال عمرو بن كلثوم: بِرأسٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ ابنِ بَكْرٍ. ويحتمل أن يكون مراد الإمام «انفرجتم عنّي انفراج الأعِزّاء، الذين لا يبالون بمفارقة أحد.

وأوّل مَنْ قال هذا القول هو أكثم بن صيفي في وصية له: يا بَنيّ لا تتفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس، فإنكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ(البهيقي،١٩٨٨،١-٣١١).

والحقيقة أنَّ الإمام استعمل اللغة الرمزية في غير الواقع، إذ إنّ انفراج الرأس عن الجسد على سبيل التمثيل، إشارة إلى التمسك بالوحدة وعدم التفرق، ويبدو أن وظيفة اللغة هنا تجاوزت الحواس إلى التخيلات، فقدرة اللغة هنا لا تضاهى؛ لأنّها لا تشمل الموجودات التي تقع تحت الحواس فقط، وإنما تتجاوز ذلك إلى أوهام الخيال وأطياف الأحلام وخفقات الجوانح والحياة النفسية والفكرية، فهي تحيط بكلِّ شيءٍ، حتى عدّها بعض الباحثين الأداة الوحيدة التي تمثل العالم الماورائي، وهذا التمثيل اللغوي من خصوصية الإنسان؛ لأنَّهُ الوحيد القادر على التعامل مع عالم الرموز، ومن هنا يصف (إرنست كاسيرير) الإنسان بأنَّهُ: (حيوان الرموز)، لأنَّ الإنسان إذا كان عاقلاً اكتسب قدرة على تمثيل الأشياء بنحوٍ رمزيّ من طريق الكلمات والمعاني المجردة، وعلى تحريك الحقائق بطريقة رمزية، إنَّ هذه القدرة هيأت للإنسان أن يزيد، بنحوٍ لا متناهٍ، قدرته على الاختراع، وقدرته في السيطرة على سائر العالم، على الرغم من ضعف قوته الجسديّة التي لا تناسب مع حجم العالم وكبره، وذلك بسبب قدرته على صنع الرموز (الضبي، ١٩٧٩: ٢٣٧) .

تنبع الأمثال والأعراف والعادات التي وجدت في الآداب القديمة من صميم الحياة الإنسانيّة والتجارة العمليّة للمجتمعات التي أنتجتها، لذا تُظهر نظرتهم إلى الحياة والموت، وإلى ما هو غيبيّ، وإلى القدر الذي تحتله المعتقدات التي

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

يؤمنون بها، جاء في نهج البلاغة في وصف الموت وملازمته لابن آدم: «...وأنتم طرداء الموت إنْ أقمتم له أخذكم، وإنْ فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظِلّكم...»(الصالح،١٤٢٦ق:٢٨) وهذا من الأمثال المشهورة في ذكر الموت؛ لأنَّ الظلَّ لا يصح مفارقته لذي الظلِّ مادام في الشمس (المصدر نفسه: ١١١) .

ولم تكن الأمثال في نهج البلاغة ممّا يختصُّ بالإنسان فحسب؛ بل شملت الحيوان أيضاً، وقد مثلنا آنفاً بالضبع وصفاته وسلوكياته، وكذلك جاءت العبارات المثلية لتشمل الطاووس، حينما وصفه الإمام بقوله «يمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحه، فيقهقه ضاحكاً لجمال سِربالِه، وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقاً معُولاً بصوتٍ يكاد يبيّن عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأنّ قوائمه حُمْشٌ كقوائم الديكة الخلاسية» (المصدر نفسه:٢٣٨) .

فعبارة: «قوائمه حُمْشٌ» أي دقاقٌ، وهو أحمش الساقين، وحُمْش الساقين بالتسكين، وقد حَمِشت قوائمه، وضرب المثل في قوائمه الحُمْش بالديكة الخلاسيّة؛ لأنَّها متولدة من الدجاج الهنديّ والفارسيّ، فتكون قوائمها حُمشًا. وكأنه يقول: « إنَّ الطاووس يُزهى بنفسه، ويتيه إذا نظر في أعطافه، ورأى ألوانه المختلفة، فإذا نظر إلى ساقيه وَجَم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه، فصاح صياح العويل لحزنه، وذلك لدقة ساقيه ونتوء عُرقوبيه. وحُمْش جمع أحمش بمعنى: دقيقٌ»(الصالح،١٤٢٦ق،١٨٩)، وقد تمتزج الأمثال القصصيّة في سياق النصِّ امتزاجًا متسقًا، يجعل للنصّ دلالة كلية على تلك الأمثال، لتؤدّي غرضًا واحدًا.

ومن كلام له «قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: «يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض إليه بصره «ثم قال: "مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ، وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ» (المصدر نفسه:١٩-٦٣) .

فعبارات النصَّ «حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ» و«فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ» و« وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ » و«حَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ» كلّها تدلُّ على أمثال قيلت في مواقف مختلفة

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

في شخص واحد وهو الأشعث بن قيس، فامتزجت لتؤدي غرض التوبيخ والاستهانة والضعة.

فعبارة: «حائكٌ ابنُ حائكٍ» مَثَلٌ يضرب به لأهل اليمن؛ لأنَّهم يعيّرون بالحياكة، وليس هذا ممّا يختصّ به الأشعث، هذا ما ذهب إليه ابن أبي الحديد، مستشهداً بقوله لخالج بن صفوان:«ما أقول في قوم ليس فيهم إلاّ حائك بُرْد، أو دابغ جِلْد، أو سائس قرد، ملكتهم امرأة، وأغرقتهم فأرة، ودلّ عليهم هُدهُد!» (الصالح،١-١٩٥). وقيل: حاكَ يَحِيكُ حِياكًا وحَيْكًا وحِياكة، حرّك منكبيه وفحج بين رجليه في المشي، يقال منه: «رجل حائك وامرأة حائكة، والحيّاك: المتبختر، والحيّاكة: المتبخترة»، قال الشاعر[1](البهيقي،١،١٩٨٨-٢٧٥):

جاريةٌ مِنْ شَعْبِ ذِي رُعَيْنِ حَيّاكــةٌ تَمشِـــي بِعُلْطَتَــيْنِ

وكان الأشعث من أبناء ملوك كندة، ولم يكن حائكاً، بمعنى ناسج الثوب، وإنَّما وصف أمير المؤمنين «بهذا المشي والهيئة، وهذا مشي المخانيث، ويدلُّ على حسبه ووجاهته في قومه، قول أمير المؤمنين: «فما فداك في واحدة منهما مالك ولا حسبُك»، وأمير المؤمنين إنَّما عيَّرهُ بالتخنيث، فعبَّر عن هذا الفعل الشنيع باستعارة مليحة دالة على هيئة التخنيث. (البهيقي،١٩٨٨،١-٢٧٥).

وممّا يرجح القول الأول ما روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلّم) من أنَّهُ دفع غزلًا إلى حائك من بني النجار لينسج له ثوبًا، وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلّم) يطلبه ويأتيه متقاضيًا، ويقف على بابه ويقول: ردّوا علينا ثوبنا حتى نتجمّل به في الناس، والحائك يكذب وَيَعِدُهُ «مواعيد عرقوب»، حتى توفّي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلّم) ولم يتم له هذا النسج (المصدر نفسه: ٢٧٦).

وأما قوله: «وإنّ امرءًا دلَّ على قومه السيف، وساق إليهم الحتف، لحريٌّ أن يمقته الأقربُ، ولا يأمنه الأبعدُ» فهو إشارة إلى فعل الأشعث بن قيس، حينما كان ملكًا لحضرموت، وقت منع أهل حضرموت الصدقات، فأتاهم مهاجر بن أبي أميّة، وحارب الأشعث، حين أظهر الأشعث الارتداد، فطردَ مهاجر الأشعث وبني كندة من حضرموت، فالتجؤوا إلى حصن حصين في البادية، فقصد مهاجر بن أبي أميّة وعكرمة بن أبي الحكم الأشعثَ، وقتلا مَن وجدا من قومه، فطلب الأشعث الأمان في نفرٍ من قومه وكتب أساميهم،

[1]. والشاعر هو جُبَيْنَة بن طريف العُكْلِي، الذي راجز ليلى الأخيلية وفضحه.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

وما كتب اسمه، وآمنه المهاجر، فخرج الأشعث من الحصن وسلّم قومه إلى مهاجر، حتى قتلهم جميعًا، وما أبقى منهم نافع خِرام ولا قائد زمام، وقال مهاجر للأشعث: هاتِ كتاب الأمان، فعرض عليه الأشعث الكتاب، فقال مهاجر: ليس فيه اسمك، وإنَّك مقتول، فتكلم في حقِّهِ عكرمة حتى حمله مهاجر مقيدًا إلى المدينة. فهذا معنى قوله «دلَّ على قومه السيف» فإنَّهُ سلَّم قومه إلى مهاجر، وما طلب الأمان إلاّ لثلة من قومه. (المصدر نفسه: ٢٧٧).

إنَّ الأعراف والتقاليد والعادات التي تمثلت بالعبارات المثليّة في نهج البلاغة، هي من اخترع المجتمع العربيّ الجاهليّ، وهذا يدلُّ على توظيف لغة نهج البلاغة تلك المواقف والأحداث، حتى أصبح نهج البلاغة سجلًا صادقًا لتاريخ القبائل العربية قبل الإسلام وعصر الرسالة والخلافة الراشدة، بل مثّل نهج البلاغة سجلاً لحضارات أُمم خلت قبل ظهور المجتمع العربيّ، على أنَّ العادات والتقاليد والأعراف والأمثال ظواهر إنسانيّة لا يمكن أن تحدد أو تحصر بأُمةٍ دون أخرى، فهي ظواهر ذات طبيعة حكمية عامة، تظهر عند كل الناس، وتخرج على كلِّ لسان، لذلك قيل: من الصعب إرجاع الأمثال الإنسانيّة العامة إلى جماعة معينة (جواد،١٩٧١-٨،٣٦٣) .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ نهج البلاغة حفظ لنا تراثًا ثريًا من أساطير المجتمع وعاداته وآدابه وأمثاله وظواهر من طريق اللغة المكتوبة المنقولة بالطريقة الشفويّة؛ لأنَّ نقل التراث شفويًّا من جيلٍ إلى جيلٍ لاحقٍ معرّضٌ للضياع أو التحريف والتغيير؛ لأسباب تتعلق بالحفظ والذاكرة، فإنَّ الوسيلة الوحيدة لحفظ ذلك كلّه هو تسجيله كتابةً. والواقع أنَّ الأُمة التي لم تستعمل الكتابة قط، هي أُمة قد فقدت معظم تاريخها وتراثها الثقافيّ.

النتائج:

١. تأثر الإمام علي بأساليب الأدباء العرب قبل الإسلام شعرًا ونثرًا، فاقتبس مفردات ومصطلحات، وانتفع بأفكار قائليها، وإنتاج مجتمعاتهم الأدبية والعلمية، ولا يخفى ما لهذا كلِّهِ من أثرٍ بليغٍ في نهضةِ لغةِ نهجِ البلاغةِ وتهذيبها، واتساع نطاقها، وزيادة ثروتها.

٢. إنَّ الأعراف والتقاليد والعادات التي تمثلت بالعبارات المثليّة في نهج البلاغة، هي من مخترعات المجتمع العربيّ الجاهليّ، وهذا يدلُّ على تأثر لغة نهج البلاغة بتلك المواقف والأحداث، حتى أصبح نهج البلاغة سجلًا صادقًا لتاريخ القبائل العربية قبل الإسلام وبعده.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

٣. إنَّ المثل على الرغم من أنّه يمتاز بالإيجاز والتركيز، والوضوح والبيان، والدقة والاختزال، وبما يحمل من خبرة حياتية تمسُّ الجوهر الإنسانيّ في الصميم، هناك عدد من الأمثال الدالة على عُرْفٍ أو عادةٍ أو تقليد لمجتمعٍ ما، لم تتخذ شهرة المثل السائر، إلاّ أنَّها انتقلت من ذلك المجتمع إلى المجتمعِ الجديد، وبتلك الصياغة الحكيمة للمثل، فأضفى عليها حياةً جديدةً، نتيجةَ استعماله للعبارة في دلالتها الجديدة، ومطابقة مقتضى الحال لما شُبّهَ به من مضمون اجتماعيّ اختزلته تلك العبارة المُوجزة

٤. تجسدت في شخصيّة الإمام علي أنماطٌ سلوكيّة متعددة اختلفت وتنوعت بحسب المجتمعات التي عاش فيها، وظهر هذا الاختلاف والتَّنوع في الوظائف اللغويّة التي استعملها الإمام في المواقف الكلاميّة المختلفة.

٥. يستطيع الفرد المُبدع الوقوف على بنية الذات الجمعيّ أن يتأمل المواقف والأحداث، وأن يختار ما يريد من المقولات الاجتماعيَّة التي تشع من أفق ذلك المُبدع؛ إذ إنَّ المُبدع العبقريّ يُعدُّ في طليعة الأفراد الذين يحاولون تكوين ذات جماعيَّة تتجاوز الذات الفرديَّة.

المصادر والمراجع

- ابن سيده علي بن إسماعيل (١٩٥٨)، المحكم، تحقيق: جامعة القاهرة.
- ابن منظور محمد بن مكرم (١٣٧٤ه)، لسان العرب، بيروت.
- الاسدي، الكميت بن زيد (٢٠١٠)، ثلاثة أقسام في جزأين، جمع داود سلوم، النجف الأشرف.
- الاصفهاني، ابو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر ـ الخانجيّ.
- الاصفهاني، ابو فرج علي بن الحسن (١٣٢٣ه)، الخبر والشعر في الأغاني، مصر.
- الانصاري، (١٩٢٩)، شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبطه وصححه: عبد الرحمن البرقوقيّ، مطبعة الرحمانية، مصر.
- ايزر، ولفغانغ، (١٩٨٨)، من يحكي الرواية، ترجمة: محمد اسويرتي، آفاق (اتحاد كتاب المغرب)، العدد ٨-٩.
- البهيقي، علي بن أحمد (١٩٨٨)، معارج نهج البلاغة، ط١، قم.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٦٩) دلائل الإعجاز، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجة، مطبعة الفجال الجديد، القاهرة.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

- الجواهري، اسماعيل بن حماد (١٩٥٦)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة.
- دشتي، محمد، ومحمدي، كاظم، (١٩٩٠م) نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١
- الزمخشري، جار الله، (١٩٦٢)، المستقصى في أمثال العرب، المقدمة، عنى به محمد عبد الرحمن خان لنيل درجة الدكتوراه بالجامعة العثمانيّة، دائرة المعارف، حيدر آباد، الدكن، الهند.
- الشنفرى (١٩٣٧)، ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر.
- شمس الدين، محمد مهدي، (٢٠٠٧)، دراسات في نهج البلاغة، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، ط١.
- الصالح، د. صبحي، (١٤٢٦ق)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب(ع)، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط٣.
- الضبي، المفضل بن محمد الضّبيّ، (١٩٧٩)، أمثال العرب، القسطنطينية.
- الطبرانيّ سليمان بن حمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، بغداد
- العسكري. أبو هلال، (١٩٨٨)، الحسن بن عبد الله بن سهل جمهرة الأمثال، تحقيق: محمود أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش، دار الفكر، ط٢.
- علي، جواد،(١٩٧١)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت.
- فرج، محمد سعيد وعبد الجواد، مصطفى خلف، (٢٠١٢)، علم اجتماع الأدب، عمّان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٢.
- الفياض، محمد جابر، (١٩٨٨)، الأمثال في القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد.
- النيسابوريّ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانيّ (ب.ت). مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهرويّ، (١٩٧٦ه)، غريب الحديث، الهند.
- الهيثميّ علي بن أبي بكر (١٣٥٣ه)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب فيمن عمل خيراً ثم أسلم، تحرير: العراقيّ وابن حجر، القاهرة.
- بن منصور، آمنة، (٢٠١٨)، ملامح السرد في الأمثال الجاهلية (قراءة في نماذج منتقاة)، بحث منشور في مجلة التواصل الأدبي، العدد العاشر.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

- وافي، علي عبد الواحد، (١٩٧١) اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.

- Pavis Et Moore Dict Mara Bout: Sociologie Tome.
- Lalienleuybrulsl les functions mentalesdans les societes primitives iesgrdnd texts delasociologiemodeme.

Refrences

- Arabic proverbs, Al-Mukhidil Bin Muhammad Al-Dabi (Vol / 168 H), Al-Costantinia, 1979.
- Explanation of Divan Hassan Bin Thabet Al-Ansari, caught and corrected: Abdul RahmanAlbrkoqa, Press Rahmaniya, Egypt, 1929 CE.
- Poetry of Al-Kumait Bin Zaid Al-Asadi (three sections in two parts) composed by DawoodSalloum (Vol / 2010 CE), Najaf Al-Ashraf 1969 CE.
- steps approach rhetoric, Ali bin Ahmed al-Bayhaqi (Vol / Q 6 H), 1st Edition, then, (1409 H-1988 CE).
- Sociology of Literature, Muhammad SaeedFaraj and Mustafa KhalafAbd al-Gawad, Amman, Publisher Al-Masirah for Publishing, Distribution and Printing, 2nd Edition, 2012 CE.
- Unfamiliar talk, Abu Ubayd al-Qasim bin Salam al-Harawi (Vol / 224 H), India 1976.
- Arab's tongue, IbnManzoor Muhammad IbnMakram (Vol / 711 A), Beirut, 1374 A.
- Language and Society, Ali Abdel-Wahid Wafi, Publisher Al-NahdetMisr Publishing, Cairo (1971 CE).
- Proverbs complex, Abu Al-Fadl Ahmad Bin Muhammad Al-Midani Al-Nisaburi (Vol / 518 H). Investigated by: MuhammedMuhyiddin Abdel Hamid, Publisher Al Maarefa, Beirut, (B.T).
- Proverbs complex, Abu Al-Fadl Ahmad Bin Muhammad Al-Midani Al-Nisaburi (Vol / 518 H), revised by: Muhammad Muhy Al-Din Abd Al-Hamid, Publisher Al-Maarifa, Beirut, (b. T).
- Excessive complex and the source of benefits, Al-Haythami Ali Bin AbiBakr (Vol / 807 H), the door of those who work better and safer, writing: Iraqi, IbnHajar, Cairo 1353 H.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

- Proverbs in Holy Quran, Mohammed Jaber Al-Fayad, Publisher Cultural Affairs General, Baghdad, 1988.
- Arbitrator, IbnSayyidah Ali bin Ismail (Vol / 458 H), edited by: Jamaa, Cairo (1958).
- The investigator of Arabic proverbs, JarallahElzimkhcri, provided, meant by Mohammed Abdel-Rahman Khan, Ph.D. Osmain University, Knowledge circle, Hyderabad, Deccan, India, 1962.
- The huge dictionary, for Al-Tiberias Suleiman Bin Hamad (Vol / 360 H) achieve: Hamdi Abdul MajidSalafi, Baghdad, 1397 H.,
- Detailed in the History of the Arabs before Islam, Publisher of Science for the Millions, Beirut (1971 CE).
- The teller of novel, Wolfgang Iser, translated by: Muhammad Eswerti, Afaq (Union of Maghreb Writers), No. 8-9, year 1988 CE, p / 77.
- The approach of rhetoric of Imam Ali bin AbiTalib (AS), adjust the text: D. Subhi Al-Saleh, The modern publisher for Printing and Publishing, Qom, 3rd floor, (1426 BC-1384).
- Rhetoric approach and Concordance of words, acquaintance publisher, Publications, Beirut, Lebanon, 1st flower, 1990 CE.
- Proverbs crowd, Abu Hilal, the military (Vol / 395 H), Al-Hassan bin Abdullah bin Saheil to achieve: Mahmoud Abou El Fadl Ibrahim and Abdul MajidQattash, publisher thought, 2nd Edition, 1988 CE.
- Pavis Et Moore Dict Mara Bout: Sociologie Tome.
- Lalien leuybrulsl les functions mentalesdans les societes primitives iesgrdnd texts delasociologiemodeme.
- Crown of language and Arabic sanitation, Ismail Bin Hammad Al-Jawaheri (Vol / 393 H), the achievement of Ahmed Abdul Ghafoor Attar, Cairo, 1956.
- Collection of proverbs, Abu Hilal Al-Askari, Al-Hassan bin Abdullah (Vol / after 395 H), verified by: Muhammad Abi Al-Fadl Ibrahim, and Abdul-Hamid Qatamesh, 1384 H.
- Bin Mansour, Amna, Features of Narration in Pre-Islamic Proverbs (Reading in Selected Models), research published in Literary Communication Journal, Issue 10, 2018.
- Al- Awliai's ornament and Al-Alosfia's layers, Abu NaeemIsfahani, Egypt Khanji.
- News and Poetry of songs by Abu Faraj Al-Isfahani Ali Bin Al-Hassan (Vol / 356 H), Egypt (1323 H).)
- Studies in rhetoric approach, Muhammad Mahdi Shams Al-Din, Dar Islamic Book Foundation, 1st Edition, 2007 CE.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

- Evidence of Miracles, Abd Al-Qaher Al-Jarjani (Vol: 471 H) Commentary and Explanation: Muhammad Abdel MoneimKhafaja, New Al-Fagal Press, Cairo, 1969 CE.
- Divan Shanfari (within a group of literary jokes), Commission authoring, translation and publishing, Egypt, 1937 CE.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]

[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

مطالعات روایت شناسی عربی
شاپا چاپی: ٧٧٤٠-٢٦٧٦ شاپا الکترونیک:٠١٧٩-٢٧١٧

سبک شناسی روش و روایت شناسی تبادل فرهنگ ها؛ رویکردی تاریخی در آیین نهج البلاغه

نعمه دهش فرحان رایانامه: namaa.d@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

استاد گروه زبان وادبیات عربی، دانشکده علوم اسلامی، دانشگاه بغداد، عراق

چکیده

مباحث روایی در ادبیات عرب سهم زیادی از تحقیق و بررسی را به خود اختصاص داده اند. این امر از یکسو به تعدد روش های روایتگری ، شاخه های آن و تنوع بازنمایی های آن ، به ویژه روش هایی که در عبارات متقارن تعبیه شده برمی گردد و از سوی دیگر به استفاده از قالب های روایی، مانند داستان، قصه و ضرب المثل که نشان دهنده وقایع اجتماعی است،مرتبط است. این اثر ادبی از یک سو نشانگر جوهره شخصیت بنیانگذار آن و از سوی دیگر نشان دهنده فرهنگ جامعه ای است که به آن منتسب است.منطقی نیست که (نهج البلاغه) درنتیجه ی یک اختراع فردی بدون اتکا به داده های اجتماعی و گروه متولد شده باشد. همچنین غیر منطقی است که یک شکل ادبی مانند (نهج البلاغه) با این غنای اجتماعی و بقا در قرون مختلف ،توسط نویسندگان ، دانشمندان و محققان با ملیت های مختلف مورد مطالعه قرار گرفته باشد بدون اینکه بین محتوای این فرم ادبی و مهمترین جنبه های زندگی اجتماعی رابطه معناداری وجود داشته باشد.به همین دلیل این تحقیق با در نظر گرفتن روش تحلیلی - توصیفی با رویکرد تاریخی انجام شده است و برای کشف ارزش کتاب (نهج البلاغه) در دو موضوع پیگیری شده است: اول فرهنگ اجتماعی و نماد زبانی، دوم آداب و رسومی که در کلام علوی نهفته است و در نتیجه ی آن مشخص شد که اولا فرد خلاق می تواند بر اساس بنیان جمعی ، شرایط و حوادث را مورد تأمل قرار دهد و آنچه را که می خواهد از میان سخنان اجتماعی که از افق آن ساطع می شود ، انتخاب کند زیرا نبوغ خلاق در صف مقدم شامل افرادی است که سعی در شکل گیری یک خود جمعی فراتر از خود فرد دارند.ثانیا هنجارها ، سنت ها و آداب و رسوم در قالب ضرب المثل های نهج البلاغۀ آمده است که از ابداعات جامعه عرب پیش از اسلام محسوب می شود. این امر نشان می دهد که زبان نهج البلاغه تحت تأثیر این شرایط قرار گرفته به طوری که نهج البلاغه نه تنها به پیشینه ی صادقانه ای از تاریخ قبایل عرب قبل و بعد از اسلام تبدیل شده است ، بلکه نماینده ای از روایتگری تمدن های قبل از ظهور جامعه عرب نیز به شمار می رود.

کلید واژه‌ها: فرهنگ ، جامعه ، نهج البلاغه ، ضرب المثل ها ، روایت.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]
[DOI: 10.52547/san.2.1.96]

استناد: فرحان، نعمه دهش، پاییز و زمستان (۱۳۹۹). سبک شناسی روش و روایت شناسی تبادل فرهنگ ها؛ رویکردی تاریخی در آیین نهج البلاغه. مطالعات روایت شناسی عربی، ۲(۳)، ۱۲۶-۹۶.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۳۹۹، دوره۲، شماره۳، صص. ۱۲۶-۹۶.

دریافت: ۱۳۹۹/۶/۷ پذیرش: ۱۳۹۹/۱۲/۱۲

© دانشکده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه خوارزمی وانجمن ایرانی زبان وادبیات عربی

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-24]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2021.2.1.3.8]

[DOI: 10.52547/san.2.1.96]